ملحق أسبوعي
يصدر كل ثلاثاء
عن جريدة الثورة
العدد 1145
2023/5/23

الملحق الثقافي

اللوحة للفنانه هيبت بواب

ملف العدد

التواصل الثقافي العربي

أول الكلام

نكوص ثقافي

▪ ديب علي حسن

أليس من حقنا ونحن في العقد الثالث من الألفية الثالثة وفي عصر الفجر التقني والمعرفي وتحول العالم إلى قرية صغيرة كما يقال من حيث القدرة على الاتصال من حقنا أن نسأل:لماذا يبدو التبادل الثقافي العربي وكأنه في العصر الحجري بل ربما قبل ذلك بكثير.... بسرعة البرق ينتشر أي خبر عبر الوسائط الحديثة لكن الفعل الثقافي بين أقطار الأمة العربية يحتاج سنوات حتى يصل وربما لا يصل واللافت في الأمر أن ذلك يتناسب طرداً مع تطور وسائل التفاعل والتواصل فكلما ازداد العالم قرباً ازددنا بعداً...

من يصدق أن ذلك لم يكن منذ ألف عام ونيف..... كان المتنبي يمتطي صهوة حصانه ويمضي من العراق إلى سورية ويقصد سيف الدولة الحمداني ينشده روائعه ثم يحل المقام بأرض حلب فيغذ السير إلى مصر حيث كافور....

والمعري يخرج من بلدته إلى العراق قاصداً مجالس الفكر والأدب وقس على ذلك الكثير.

بل لماذا نذهب بعيداً ما تزال في مكتباتنا المنزلية منذ نصف قرن معظم الدوريات والمطبوعات التي كانت تصدر في بغداد أو القاهرة أو أي عاصمة عربية.

بلى منذ عقدين من الزمن كان ذلك متاحاً.... ولكن ما الذي حدث.... وكيف.. هل جنت الخلافات السياسية على الثقافة؟

وها نحن نعقد الأمل على يقظة عربية تلم الشمل وتوحد الصفوف لعلها تبعث من جديد التواصل الذي انقطع.

ما أحوجنا إلى تفاعل ثقافي عربي يثري المشهد الإبداعي العربي والعالمي.

نحو مشهد ثقافي مختلف

الثقافة صناعة

قمة ثقافية

الكتب العظيمة

رئيس التحرير
أحمد حمادة

مدير التحرير
معد عيسى

إشراف
ديب علي حسن

الإخـــراج
هدى نصر شمالي

توجه جميع الرسائل
باسم هيئة التحرير

D.hasan09@gmail.com

هاتف ٢١٩٣٢٢٢

معرض

شارك الفنان التشكيلي سامر إسماعيل في معرض «الفن السوري» الذي أقيم في البحرين بعملين فنيين بعنوان «ذاكرة الطاولة».

وعن هذين العملين قال الفنان إسماعيل: تمحور موضوع اللوحتين حول ذاكرة الطاولة التي ترمز للقاء الاجتماعي بين أفراد الأسرة أو الأصدقاء، تلك الذاكرة التي كانت تحفل بالحب لدى السوريين وتأثرت وتدمرت بفعل ما أصاب سورية خلال السنوات الماضية.

التشكيلي إسماعيل والمنسق للمعرض أوضح أن فكرة المعرض جاءت عندما زارت الفنانة التشكيلية المصرية جيهان صالح مهرجان دلبة مشتى الحلو قبل عامين، وشاهدت أجواء الملتقى الفني التشكيلي في وقتها، ما شجعها على المساهمة في التعريف بأهمية الفن السوري في الخارج والتحضير لإقامة هذا المعرض في البحرين.

ولفت اسماعيل إلى أن التحضير للمعرض استغرق عاماً من العمل بعد التوقف بسبب جائحة كورونا، وتضمن إنجاز فيلم تعريفي بالفنانين السوريين المشاركين وإعداد كتيب يضم لمحة عن كل فنان مشارك وأعماله، لتقديم صورة حقيقية وجميلة عن الفن التشكيلي السوري كما يستحق أن يقدم.

وأشار إسماعيل إلى أن الهدف من المعرض هو التعريف بالفن التشكيلي السوري في البحرين والخليج عموما، مؤكداً أن هذه التظاهرة الفنية مهمة للخروج بالفن السوري من المحلية للعالمية، وإعادته للمكانة التي يستحقها انطلاقاً من الدول العربية.

وختم الفنان إسماعيل بالقول: «أتمنى أن تستمر مثل هذه المعارض والتظاهرات الفنية التي تعرف بالفن السوري وبثقافتنا وتوصل أعمال مبدعينا للعالمية».

مشاركة سورية في مهرجان الإبداع العربي بالقاهرة

شارك اتحاد الكتاب العرب في سورية ممثلاً بالدكتور الشاعر والناقد نزار بريك هنيدي بالمهرجان الدولي للإبداع العربي في مصر «دورة طه حسين»، والذي تركزت فعالياته حول وحدة الثقافة العربية بأساليب فنية وثقافية مختلفة، بمشاركة أدباء من تونس والسعودية ومصر والجزائر.

وفي كلمة الأدباء السوريين والعرب، أكد الشاعر والناقد هنيدي ضرورة التضامن الثقافي ووحدة الثقافة العربية ومحبة الشعوب، مبيناً أن الثقافة في سورية ظلت ناشطة وفاعلة رغم ظروف الحرب الإرهابية القاسية، والأدباء السوريون حصدوا أهم الجوائز.

ودعا هنيدي المثقفين العرب إلى زيارة سورية والتضامن معها ومع ثقافتها، والسعي والعمل من أجل رفع الحصار الاقتصادي الجائر عنها.

وأشار هنيدي إلى أن المهرجان تضمن العديد من الفعاليات والورشات الثقافية والأدبية، مبيناً أن ورشة الزيتون أقامت ندوة عن أدبه وشعره، شارك فيها الدكتورة فاطمة الصعيدي والأديب شعبان يوسف والناقد الفلسطيني رجب عطا أبو سرية والأديب هادي منسي والشاعر عبد القادر الحصني والمخرج محمد بدر خان والدكتور محمد إبراهيم طه، إضافة إلى ندوة أقامتها لجنة العلاقات الدولية عن تجربته أيضاً حضرها الأمين العام للأدباء العرب رئيس نقابة أدباء مصر علاء عبد الهادي والشاعر مختار عيسى والدكتور بسيم عبد العظيم رئيس لجنة العلاقات في نقابة الأدباء المصريين.

ولفت هنيدي إلى أنه شارك في ندوة عن أدب طه حسين في مكتبة مصر العامة مع الأدباء مختار عيسى وهداية مرزق من الجزائر والدكتورة سوسن ناجي والدكتور صلاح شفيع من مصر.

وأشار الشاعر هنيدي إلى الاهتمام الكبير خلال المهرجان بسورية، والحديث عنها وعن تاريخها وأدبها، إضافة إلى تكريمه في نهاية المهرجان تقديراً لأدبه ودوره في تقوية العلاقات الثقافية بين مصر وسورية.

كتاب العدد
حسب الترتيب الهجائي

أحمد بوبس
أحمد علي هلال
حبيب ابراهيم
دلال إبراهيم
عبد الحميد غانم
علم عبد اللطيف
عبادة دعدوش
غسان كامل ونوس
فاتن دعبول
سلام الفاضل
ليلى مصطفى
مها محمد
محسن فندي
وفاء يونس

الثقافة وتبدّلات السياسة

غسان كامل ونوس

من حقّ الثقافة أن تكون رائدة وسبّاقة، ويليق بها أن تكون بوصلة الحياة؛ ومن مراراتها ومواجعها أن تكون تابعة، والأقسى أن تكون مقموعة، أو تلاقي المضايقات في أحيازها، والعثرات في دروبها؛ ناهيك بإهمالها؛ جهلاً أو عن سابق حقد وخوف، والتغافل عن وقدها وضوئها.. ولمّا كان في كينونة الثقافة الواهبة بلا حساب أو منّة، وفي طبيعتها الإيجابيّة بلا تردّد أو شكّ، ورؤياها الواعية، وسعيها الجادّ، أن تبثّ إشعاعاتها وعطورها في جميع الاتّجاهات، وإلى مختلف الكائنات؛ ولا سيّما (العاقلة) منها، فإنّ على الجهات الأخرى أيّا كانت، وحيثما وجدت، ومهما كانت مكوّناتها وفعاليّاتها وقوّتها وسطوتها، أن تكون قابلة للاكتناز والانتشاء، مسهّلة للعبور، ميسّرة للسبل أمام الثقافة؛ من أجل الصالح الخاصّ والعام، والسياق القائم، والخلاص المأمول.. ولعلّ السياسة أهمّ تلك المسؤوليّات؛ لما تستطيع أن تقوم به؛ بقواها الخشنة والناعمة؛ سلباً أو إيجاباً، وما تعتدّ به من سطوة ونفوذ، وما تمتلكه من إمكانيّات تشريعيّة وتنفيذيّة وإجرائيّة وإعلاميّة وسواها، وما تمتاز به من حركة وسرعة وتوجّهات ومبادرات؛ حسب المصالح والتفاهمات والمواقف والمناخات، التي يمكن أن تتغيّر، وتنقلب، من موقع إلى نقيضه، بين آن وآخر. ليس لهذا فحسب؛ بل لأنّ لمثل هذه الانقلابات، التي تقودها السياسة في الغالب، ويمكن أن تكون طارئة ومفاجئة وحادّة، انعكاسات وانفعالات، قد تكون بيّنة وصارخة ومفارقة؛ وهي في هذا تختلف عن الثقافة، التي تميل إلى الهدوء والتأمّل والبناء المتّزن والعمل الواعي والانشغال اللاواعي؛ أو هذا ما يفترض أن يكون؛ ولهذا فإنّ السياسة تحتاج إلى توجيهات الثقافة؛ حتّى لا تضلّ، أو تتهوّر أو تتشتّت، وستكون السياسة أكثر اقتناعاً وإقناعاً، وأقلّ تناقضاً وتعثّراً وتردّداً وحيرة، وأكثر ثباتاً ونضوجاً ومردوداً وجدوى، إذا ما اعتمدت على الثقافة، وستكون خسائرها أندر، وخيباتها وصدماتها وانكساراتها أخفّ.. مع علمنا أنّ هذا ليس ممكناً دائماً؛ فلا الوقت ولا الظرف ولا الفعل، قد يسمح به، وعليك أحياناً ربّما التصرّف مباشرة؛ أو خلال وقت قصير؛ وسيكون سلوكك أكثر حكمة وصوابيّة؛ إذا ما كنت مؤسّساً ومغتنياً ثقافيّاً.. ومن جهة أخرى، لا يمكن أن نتغافل عمّا يمكن أن تستفيد الثقافة من قدرات السياسة، وطاقاتها الحركيّة، وقراراتها المسهمة في تأمين الأجواء المناسبة، والفضاءات الرحبة، والظروف الموائمة للإنتاج الثقافيّ الطبيعيّ، والنشاط الثقافيّ الفعّال؛ من دون فرض أو توجيه، وفتح المعابر أمام انتقال المثقّفين والمواد الثقافية على اختلاف أنواعها؛ من دون مساومة أو ابتزاز؛ كما لا ننسى أنّ عليها مسؤوليّة تدعيم المواقف، وترسيخ التوجّهات، التي ترى أنّها تصبّ في المصلحة العليا للمواطن والوطن؛ بأساليبها وأدواتها وعناصرها، وقواها الناعمة، التي تؤثّر في مختلف الميادين والمدارات.

وإذا كان مثل هذا الكلام، يصحّ في البلد الواحد؛ صغر أو كبر، فإنّه يصحّ أكثر لدى مجموعة من البلدان، ويصبح حاجة لدى دول، محكومة بالكثير من العوامل والأسباب، التي تقارب بينها، وتشترك في الكثير من العناصر البشريّة واللغويّة والبيئيّة والعقائديّة، تتشابه في الكثير من المشكلات والأعباء والضغوطات الداخليّة والخارجيّة؛ بل إنّه ضرورة في ظروف حرجة ومصيريّة، وبعد أحداث ومواجهات وانقطاعات، سبّبت تراكم السلبيّات، وتفاقم العلل، وتزايد المنغّصات لدى الأفراد والجماعات والكيانات في البلد الواحد؛ وبين أقطار متجاورة.

وليس مطلوباً ولا مرغوباً أن تكون المسألة الثقافيّة ردود أفعال مباشرة، لحال جديدة، ولا أن تُكرّس الثقافة، أو تُسخّر لخدمة هذا أو ذاك أو تلك من المسؤولين والتيّارات والتوجّهات، ولا أن تكون صدى لما يستجدّ من علاقات وتوافقات وتفاهمات، ولا أن تنتظر، أو تراهن على مزيد منها؛ فللثقافة قوانينها الذاتيّة، وطقوسها المميّزة، وتردّداتها الخاصّة، ووقعها المختلف؛ فهي لا ترقص في عرس، ولا تبكي في مأتم، ولا تمدح، أو تردح؛ إنّها تلاحظ، وتعاين، وتؤسّس، وترهص، وتقوّم، وتتوجّه؛ تتمثّل، وتحلم، وتتكهّن، وتؤمّل؛ بناء على مسابير استكشاف، وعصبونات استشعار، وملكات استدراك وإدراك سابقة ولاحقة، وميزات خلّاقة، وبناء على رصيد زاخر من المعرفة والمفاهيم والمستخلصات، والتخويض في أرجاء وأنواء..

وهذا لا يُبعد عنها ملامح البهجة ومعالم الرضا، وسمات الغبطة، في طقس أليف وجوّ آمن، ولا يمنع عنها الحافز والحيويّة في مشهد مبشّر؛ كما لا يمكن تجاهل ما لحقها من غبن وضيق، وما تعرّضت له من جراثيم وفيروسات، وما أصابها من أدران ودمن؛ من جرّاء ما كانت عليه الأوضاع الخاصّة والعامّة من قتامة واحتقان ونكوص في الأنفس والأبدان.

ومن المخاطر؛ بل الكوارث، التي يمكن أن تحدث، في مثل هذه المفاصل الحرجة، أو الفصول الانتقاليّة، أن يسارع (المثقّفون) والقائمون على الثقافة إلى استغلال الانفراجات، ومظاهر الانفتاح البادية على الأرض، من أجل مصالح ذاتيّة، وتحقيق مآرب غير ثقافيّة؛ تسويقاً، أو تعويماً، أو تشويشاً، أو تعتيماً، أو كسباً ماديّاً أو معنويّاً؛ بعيداً عن المصالح الوطنيّة، والرؤى الثقافيّة، والغايات النبيلة.

وكما يجب ألّا تبالغ الثقافة في تقدير ما يجري، وألّا تتحرّك على إيقاع السياسة الضاجّ والمتواتر بلا انضباط ولا منطقيّة أحياناً، وألّا تنخرط في الحدث؛ كأمّ العروس؛ حتّى لا تكون صدمتها كبيرة؛ كما تكرّر الأمر في السابق، وفي أوقات ليست متباعدة؛ فعليها ألّا تنعزل، أو تعتكف، أو تنتظر طويلاً؛ بل إنّ من الممكن والملحّ أن تراجع حالاتها، وأن ترمّم ذاتها، وأن تسهم في معالجة ما تستطيع ممّا أضرّت به الأذيّة في الذاكرة والوجدان، وأن تنطلق في ميادين البناء المتكاملة؛ هي التي لها في كلّ منها دور وباع ونصيب.

في التواصل الثقافي

سلام الفاضل

في الحديث عن التواصل الثقافي لابد من التوقف عند بعض أبجدياته التي يجب أن تكون بين الافراد أولاً، كما ترى رندى قطيشات إذ يتعلق الاتصال الثقافي باستخدام اللغة وطرق الاتصال المختلفة، لأداء نشاطات والتزامات المجتمعات الخاصة من خلال استخدام الوسائل والمصادر الرمزية، حيث تشمل هذه المصادر الطرق اللفظية وغير اللفظية، وكذلك قواعد استخدامها وتفسيرها، ويشير الاتصال الثقافي أيضًا إلى التواصل بين الأشخاص الذين توجد بينهم العديد من الاختلافات، مثل؛ الاختلاف في العمر، والجنسية، وأنماط العمل، بالإضافة إلى اختلاف العرق، والجنس وما إلى ذلك من الفروقات الثقافية، حيث يهدف الاتصال الثقافي إلى فتح باب الحوار ومحاولة تبادل الثقافات بين الأفراد والمجتمعات ويشير الاتصال الثقافي أيضًا إلى الطرق التي يتكيف بها الأشخاص من الخلفيات الثقافية المختلفة لتحسين التواصل مع بعضهم البعض.. إذ أنه يحدث من خلال التعرف على الاختلافات والتشابهات بين المجموعات الثقافية المختلفة بهدف المشاركة الفعالة في سياق معين.

أهمية الاتصال الثقافي تبرز أهمية الاتصال الثقافي في مختلف مناحي الحياة وعلى وجه الخصوص في بيئات العمل المختلفة، ومن أبرز فوائده ما يأتي:

إن الوعي والاستعداد للاتصال الثقافي يسمح بتبادل المعلومات الهامة، بغض النظر عن القيم والمعايير والسلوكيات الثقافية التي قد تختلف بين الثقافات أو المجتمعات المختلفة.. يعد الاتصال الفعال بين الثقافات أمرًا ضروريًا لحل النزاعات أو منعها من الحدوث ابتداءً. يساهم الاتصال الثقافي في بناء الشبكات المعرفية المتنوعة.. يساهم الاتصال الثقافي في خلق بيئة عمل مرضية لجميع الأفراد من مختلف الثقافات.. نصائح لتحقيق الاتصال الثقافي الفعال يوجد العديد من النصائح التي يمكن اتباعها لتحقيق لاتصال الثقافي الفعال بين الأشخاص، وهي كما يلي:

أدب الحوار.. يجب مراعاة آداب الحوار عند التواصل مع الأفراد من الثقافات المختلفة، وربما تختلف هذه الآداب من ثقافة إلى أخرى، فيتعين على الفرد البحث عن عادات الشعوب الأخرى قبل مقابلة أفرادها، أو الخضوع لدورات الاتصال الثقافي الفعال قبل ذلك، كما يجب التنويه إلى أن العديد من الثقافات تفضّل الحوار والتعامل بشكل رسمي عند بداية الحوار بين الأشخاص. اجتناب اللهجة العامية قد لا يمتلك المتحدثين باللغة الإنجليزية من غير الناطقين بها فهمًا شاملًا للهجة العامية أو التعابير والأقوال غير الشائعة، فقد يتمكنوا من فهم كل كلمة بشكلٍ منفصل ولكنهم لن يتمكّنوا من فهم سياق الجملة المراد إيصالها لهم، بالإضافة إلى أن استخدام الفرد لهذه اللهجة معهم قد يسيء إليهم من غير قصد، لذلك يجب اجتناب اللهجة العامية مع الأفراد من الثقافات المختلفة.. التحدث ببطء يحبّذ عدم التحدث مع الأفراد من الثقافات الأخرى بالسرعة التي يعتاد عليها الفرد في حديثه اليومي، بالإضافة إلى الحرص على لفظ الكلمات بطريقة صحيحة؛ فعند التحدث بوتيرة منخفضة يكون الكلام واضحًا للشخص المقابل، ويمكّنه ذلك من فهم جميع المعلومات المراد إيصالها له.. الإنصات الفعال يعد الإنصات الجيد استراتيجيةً فعالةً لتحسين الاتصال الثقافي، وللتأكد من فهم الشخص المقابل فإن ذلك يستلزم طرح العديد من الأسئلة المتكررة؛ لضمان عدم تفويت المعلومات المهمة.. استخدام المفردات السهلة يجب أن يراعى عند الاتصال الثقافي استخدام المفردات السهلة، وتبسيط المعلومات بلا تكلّف أو إطالة في الشرح، وتبادل أطراف الحديث مع المقابل لتحقيق الاتصال الفعال بطريقة ممتعة بعيدة عن الملل.. اجتناب الأسئلة المغلقة يجب تجنب صياغة الأسئلة التي يكون جوابها بـ «نعم» أو «لا»، وذلك لأن مثل هذه الأسئلة قد تشكّل حرجًا في العديد من الثقافات، لذا فمن الأفضل طرح الأسئلة المفتوحة التي تسمح للمقابل بالتعبير عن ذاته أو سرد المعلومات بسلاسة. اجتناب النكات والدعابة ينبغي تجنب إلقاء النكات في أي وقت خلال الحوار، وذلك لأن العديد من الثقافات تتبع بروتوكولًا معينًا عند العمل أو في المقابلات الرسمية الأولى، حيث يمكن أن يعتبرها الشخص ذو الثقافة المختلفة إساءة أو إهانة له.. تقديم الدعم والاحترام ينبغي معاملة الأشخاص باحترام، والسعي لإكسابهم الثقة بالشخص خلال الحوار من خلال تقديم الدعم لآرائهم ومقترحاتهم، لأن ذلك يساهم في الشعور بالراحة وزيادة الرغبة في التعبير والتواصل.. التحديات التي تواجه الاتصال الثقافي يوجد بعضًا من التحديات التي تواجه عملية الاتصال بين الثقافات المختلفة، نذكر أبرزها فيما يلي:[٥صلى الله عليه وسلم] اختلاف استخدام اللغة بين الثقافات إذ أن الكلمة الواحدة أو العبارة قد تستخدم بمعنًى مختلف بناءً على اختلاف الثقافات.. مثلًا، كلمة «نعم» قد تعني «ربما» أو «بالتأكيد» حتى في مختلف البلدان الناطقة باللغة الإنجليزية، وهذا يعود إلى الثقافة السائدة.. المواقف المختلفة فيما يتعلق بالصراعات فقد يسعى بالناس في بعض البلدان إلى تجنب الصراعات بينما قد تعتبر ذات الصراعات أمرًا إيجابيًا في البلدان الأخرى.. الاختلاف في المواقف تجاه التعبير عن المشاعر فقد اعتاد الناس في بعض الثقافات على السؤال والتعبيرعن المشاعر أو أسباب الخلاف أو المعلومات الشخصية بينما تعد هذه الأمور شخصية للغاية ولا ينبغي السؤال عنها في ثقافات أخرى..من المحرمات في بعض الثقافات.. فالأسئلة الطبيعية في بعض الثقافات قد تعتبر تطفلية في ثقافات أخرى.

العروبة جوهر التواصل

عبد الحميد غانم

سؤال الثقافة العربية المعاصرة كان ولا يزال، وبعد أكثر من عقد من الزمان، وفي ظل التحديات والعواصف العالمية التي تضرب بكل اتجاه أمتنا ومنطقتنا: لماذا تقدموا،ولماذا تأخرنا؟ وكيف نتقدم؟.

يطرح هذا السؤال اليوم بقوة أمام ثقافتنا باعتبار الثقافة حاضنة عملية الإبداع والإنتاج المعرفي للأمة جسر التحول والانتقال إلى التقدم.

مهما كان العصر الذي نعيش أو المجتمع الذي نحن فيه، فتقدمنا لن يكون مفصولاً عن ظروف مجتمعنا وأمتنا الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية، وعن الصراع الذي نشهده مع أنفسنا ومع محيطنا ومع مستقبلنا وجدلية الحاضر والمستقبل، وبين إمكاناتنا وتطلعاتنا.

إننا بحاجة إلى عملية إنتاج فكرنا وثقافتنا من جديد، فالحياة تتغير، وكذلك الظروف والأهداف والتطلعات والأدوار تتغير.

فما كان قبل أكثر من عقد من الزمان، تغيرت الكثير من الأفكار والنظريات والقناعات، فصارت الأمور بحاجة إلى تجديد بالاعتماد على الخبرات والتجارب.

الفيزيائي لا يكون فيزيائياً إذا لم يدخل مرحلة التجربة والخبرة، وكذلك الطبيب والكاتب، وهكذا الأمة والشعب كل شيء يدخل في اختبارات، تمنعها الظروف والتحديات وتخرجها بأوضاع جديدة تختلف عن السابق.

وعملية إنتاج الثقافة تتطلب عملية الإبداع وإنتاج الفكر في كل جوانب الحياة ولا تنحصر في مجال أو جانب واحد، فمثلاً ليست محصورة في جنس الأدب كالرواية أو الشعر أو المسرح بل تتعدى لتشمل مجالات الحياة كلها السياسية أو الاقصادية أو الاجتماعية أو العلمية أو الفنية، ولابد أن تشمل عملية إنتاج الفكر والمعرفة جميع أشكال الحياة ومستويات وأنماط التفكير والمنطق والرؤى وأن تقتحم كل ميادين العلم المشخصة.

ومن هنا فإن أمام مشروعات الثقافة العربية المعاصرة أسئلة عميقة ومصيرية للخروج من الواقع الراهن إلى واقع مستقبلي أفضل يحاكي المتغيرات ويستشرف آفاق المستقبل، ويكون قادراً على تحويل التطلعات إلى أهداف واستراتيجيات وخطط للعمل العربي المشترك وتجاوز المشكلات المتراكمة التي راكمتها ظروف السنوات ١٢ الماضية وتصنع مشروع الثقافة الطموح المنشود الذي يحقق للأمة العربية تطلعاتها وأهدافها الطموحة.

لقد استهدفت الحرب على سورية والمنطقة بالعموم خلال السنوات الماضية أمتنا في فكرها وثقافتها ومشروعها التقدمي والتنموي وقبل كل شيء إنسانيتنا وهويتنا وانتمائنا.

وباعتبار الإنسان هو حامل الثقافة ثقانة المجتمع والأمة في هذه اللحظة التاريخية، فهو كلمة السر في المواجهة والمراجعة الفكرية لمشروع الأمة العربية ثقافياً وفكرياً.

لذلك فالثقافة اللصيقة بالفرد والمجتمع والأمة هي القادرة على معالجة الأمراض المجتمعية السارية نتيجة الزلزل الذي تعرضت له الأمة ثقافياً وفكرياً.

فقد أفرزت الحرب مشكلات تعاني منها الشعوب في الداخل ومن تبعات سياسات الاستهداف الخارجي للأمة، فالأمة التي شهدت اعتداءات وحروباً عانت الكثير في أنماط حياتها وتفكيرها وثقافتها، فمسرحية بستان الكرز لانطون تشيخوف الذي يوصف لنا حالة المجتمع الروسي نتيجة الحرب والصراع الطبقي بين طبقات مهددة بالانقراض وطبقات أنتجها اقتصاد الحرب وأثرياؤه ونمت فيه بورجوازيات جديدة على حساب حطام طبقات اجتماعية أهمها الطبقة الوسطى.

طبعاً لكل مجتمع وأمة مميزاتها وصفات ها تنفرد بها عن الأخرى، ولا يمكننا التعميم.

وفي حالة ثقافتنا يلعب العامل العروبي دوراً مهماً في تشكيل ثقافتنا ودور أمتنا الحضاري،ولا يمكن فصله عن واقعنا ومشروعنا الثقافي وتجاربنا وظروفنا وتكويننا التاريخي.

يركز المشروع المعادي لأمتنا في وقتنا الراهن، وحتى وقت سابق، أثناء العمل لتأسيس فكر ثقافي قومي عربي أواخر القرن التاسع عشر على نزع جذور أمتنا القومية، أو تشويهها من خلال وصمها بالشوفينية والعنصرية، لإعادة إنتاج الثقافة العربية بمعزل عن الانتماء والهوية العربية الأصيلة والمتأصلة في تراثنا لإيجاد ثقافة غريبة ومتغربة عن واقعنا ومشروعنا وتكون مرتبطة بثقافة غربية وغريبة عن انتمائنا وهويتنا.

هذه القضايا أوقعت الثقافة القومية العربية وفي ظل الانقسامات العربية الرسمية وليست الشعبية، في معضلة إثبات الحضور وأن تكون أو لا تكون، والبحث والتثبت بركائز الأصالة والهوية والانتماء لقيام ثقافة مجتمعية عربية تعيد إنتاج الثقافة القومية العربية التي عانت ضعفاً في الهدف وتراجعاً في الدور والممارسة لإثبات الحضور الإنساني في العالم وتجاوز المحنة والمعاناة التي وقعت بها الأمة نتيجة الاستهداف الخارجي.

إن الظروف الجديدة التي تمر بها أمتنا في وقتنا الراهن تخلق مناخاً رحباً من آفاق العمل العربي المشترك وتجاوز المحنة والمعاناة التي وقعت بها المنطقة والعالم، ولعل الأجواء التي خرجت بها القمة العربية في جدة يمكن أن تسهم في تجديد طاقات الأمة وتحيي عوامل تجديد ثقافة الأمة العربية وفكرها القومي العربي وإحياء فكرها وتفكيرها بمستقبل زاهر وواعد، ويعزز دور ثقافتنا المسؤول ووعيها لواقعها ودورها وآلية تعاطيها مع الواقع الجديد للعالم التي تسمح لتعزيز عملية الإبداع وفتح آفاق رحبة للتقدم الإنساني الحضاري لأمتنا باعتبار تعزيز الفكر والإبداع تعزيز لثقافة أمتنا القومية وبالتالي امتلاك ناصية التقدم والتطوير والتنمية لأمتنا العربية.

فالثقافة التي تعد العنصر المؤسس والداعم والحامي للهوية العربية بعامة، والعروبة الثقافية بخاصة بكل ما تمثله من قيم ومثل وسلوكات موروثة، والتي تتعرض لتحديات ومخاطر بدأت إفرازاتها تطفو على سطح الواقع العربي متمثلة بالغزو الثقافي الخارجي، وفرض المنظور الثقافي الغربي على المجتمعات العربية، تتطلب من العرب كأمة تعزيز مشروعها القومي باعتباره أساس ومحور أي تقدم ثقافي قومي عربي يستثمر المناخ الجديد التقارب العربي.

وعلينا كما أشار السيد الرئيس بشار الأسد في القمة العربية بجدة ألا نغرق الأجيال بمعالجة نتائج المشكلات،وإنما بمعالجة أسبابها، وهو ماينطبق على واقع ثقافتنا ومستقبلها.

وتر الكلام

علاقة متناقضة...!

سعاد زاهر

كيف يكون حالها إن تغيرت المعطيات...؟

ألا يصبح الإبداع حينها مجرد تقرير إخباري مباشر، وخاصة حين ينغمس في البعد السياسي، ويتبنى موقفاً آنياً، سرعان ما يخضع لمعطيات متغيرة.

إذا كيف تبدو العلاقة بين الإبداع والسياسة...؟

نجيب محفوظ أوجز هذه العلاقة «في عبارة بليغة قال فيها: «ليس هناك حدث فني، بل حدث سياسي في ثوب فني»

اميل حبيبي قال: «إني أحترف السياسة وأتذوق الأدب، فأسند الواحد بالآخر»

الأمر الذي يأخذنا مباشرة نحو أدلجة الأدب، وانخراطه في الأمر ربما ينتج عنه أدب مهمّ، أو العكس حسب إمكانية المبدع في ترجمة تلك الأحداث.

لكن كيف يتعاطى الأدب مع السياسة باعتباره منتجاً إبداعياً...؟

ربما إذا ذهبنا إلى بعض الأمثلة المهمة لعرفنا الجواب، أبرز تلك الأمثلة ما فعله الكاتب الفرنسي ألبير كامو، ففي أعماله «خطاب السويد»، و«رسائل إلى صديق ألماني»، و«الإنسان الثوري» قدم نموذج الإنسان العبثي الخائف، وفي الوقت ذاته ثوري يتعاطى مع كل معطيات عصره السياسية بإبداع خلده على مر الزمن.

جورج أورويل كتب العديد من الروايات التي أخذت منحى سياسياً مثل «تحية إلى كاتالونيا»، و«مزرعة الحيوان»، ولعل رواية «١٩٨٤» من أهم الروايات التي ناقشت بعداً سياسياً مختلفاً له علاقة بالعلاقة بين طبيعة اللغة السياسية السائدة وتقييد أو تحرير أفق التفكير لدى المواطنين من ناحية، وتأثير اللغة السياسية في تشكيل المجتمع من ناحية أخرى...

الأمثلة الإبداعية التي نجحت في التعاطي مع السياسة إبداعياً كثيرة رغم التناقض بين عالم الأدب والسياسة، الأول بتدفق المشاعر وخياله المبدع، والسياسة بواقعيتها وقسوتها...

في الحاجة إلى قمة ثقافية عربية

أحمد علي هلال

لا تبدو الحاجة هنا محض ترف أو استدعاء حنين بقدر ما تمليها الضرورة القصوى، ذلك أن المشهد السياسي بتسارعه وانعطافاته قد يشكل بيئة محرضة على استنهاض أسئلة الثقافة والفكر، بل أسئلة الفنون جميعها، وليس من قبيل الطموح النزق، بل أكثر من ذلك، فالثقافة بما هي بنية جامعة مانعة لا تكف على أن تستنهض حوافزها الدالة بتحولات الثقافة العربية، بوصفها أمام امتحان وجودي يمس أسئلة الهوية والكينونة والتاريخ المشترك، والمستقبل المشترك، في سبيل إنتاج مشهد ثقافي عربي مغاير، ذلك طموح نبيل ولكن.

إذ إن للصورة الكلية أبعادها الأخرى في تشكيل الوجدان الجمعي والذاكرة الثقافية الجمعية وبمفردات جديدة، تعيد لحمة اللغة والوجدان، ذلك أن أفعال الثقافة وبأنساق جديدة، من شأنها أن تأخذنا ليس إلى المشترك فحسب، بل إلى ما يمكن إنجازه نقيضاً لم قيل «إن ثقافتنا ليست بخير!»، فما الذي يجعلها بخير إذن؟، هي عودة الروح لتشكل ماهية الثقافة بتركيبها الجمعي لا الفردي الضيق، القائم على نبل الأهداف كما الوسائل، لأن الثقافة هي صناعة وصناعة ثقيلة جداً، وممكناتها كثيرة في مقابل واقع يتغير، ويرهص بغير استنهاض ونهوض دالته تجاوز المآزق التي شكلت تحدياً لخطاب الهوية، وعبر مراحل بعينها، تلك أسئلة العقل الثقافي العربي، أسئلة استحقاق وجوده، ليكون دالاً فاعلاً في نسيج حضاري مديد، يتجاوز دورة انقطاعاته، ويرنو إلى سيرورتها الأجمل في الوعي الثقافي العربي، بالصيغة الجمعية أيضاً، لأن مطلق أداء فردي بتكامله سيمثل خيطاً في نسيج متناغم، وليس متماثلاً بالضرورة، قوامه الرؤيا للثقافة بوصفها صورة تعني حراك العقول والإرادات، وستعني أكثر في مفهومها التعدد والثراء، الذي سينعكس على طرائق التفكير والتعبير، مما يسهم وبطموح نبيل في خلق محفزات جديدة لإبداع حقيقي قادر على أن يلتقط معادلة الوطن/اللغة، وإبداع الخصوصية في نسيج الجماعة، وإبداع كلمة الثقافة وتعبير صورها في ذاكرة حضارية مهددة على الدوام بالمحو والاقتلاع والتبديد، إذن هو الواقع من يملي استحقاقه ولكن بشرط الإبداع وحقائقه الراسخة، هو امتحان للوعي الثقافي المتجدد الذي يجعل من تعبير «قمة ثقافية» موازياً لما يشهده المشهد السياسي، فالثقافة بهذا المعنى هي رهان ينبغي ألا يكون خاسراً، ولا سيما ونحن في ذروة امتحان الوجود المهدد على الدوام لإنسان الثقافة العربية وحضارة روحه، ومنجزه الثقافي، طموح يتعالق بالواقع ليعيد صوغه وفق رؤى إرادات نبيلة مخلصة تحمل مشروعها التنويري القائم على التجاوز وإنتاج المعنى الكلي، من ثقافة عربية حقيقية تعيد الاعتبار لماهيتها وخطاباتها وصورتها أمام التاريخ.

الثقافة صناعة...؟!

حبيب الإبراهيم

شهدَ العقد الثاني من الألفية الثالثة، أي القرن الحادي والعشرين موجة، بل موجات من الأحداث، أُطلق عليها زوراً وبهتاناً(ثورات الربيع العربي والتي بدأت في عدّة بلدان عربية:تونس، ليبيا، مصر، سورية، اليمن...

أحداثٌ متلاحقة طرح مصمّموها وممولوها شعارات برّاقة مثل (الحرية، الديمقراطية، العدالة الاجتماعية، وغيرها...؟!)

هذا الربيع المزعوم استهدف الدولة الوطنية بكلّ مكوّناتها ومنظوماتها الفكرية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية وصولاً إلى التدمير المنهج وإسقاط الأنظمة السياسية القائمة، وتعويم الأصولية الدينية المرتكزة على التطرف والإقصاء والتكفير والفكر الظلامي، فقامت أدواته على الإرهاب والقتل والتدمير وتضليل الرأي العام وتشويه الحقائق، مستخدمة أذرعاً عسكرية واقتصادية وإعلامية وثقافية، جعلت من منطقتنا العربية ساحة صراع لقوى كبرى، وقوى إقليمية تدور في هذا الفلك أو ذاك، وبالتالي أصبحنا أمام حروب صغيرة متعددة الأوجه والأهداف، فازداد الواقع تشرذماً وانغلاقاً انعكس سلباً على كل مناحي الحياة.

هذا المشهد من عدم الاستقرار فرض تحدّيات كبيرة واجهت المهتمين بالشأن الثقافي لناحية زيادة الوعي لما يجري في الساحة العربية والعمل على تحصين المجتمع الذي يعاني ما يعانيه أصلاً من تحديات مثل الجهل، الجمود الفكري، الفقر والأمية، غياب الديمقراطية وقبول الرأي الآخر...

هذه التشوهات في المشهد الثقافي العربي ازدادت حدّة مع تبني الكثير من الأنظمة العربية لموجة التغيير القادمة من الخارج، فتراجعت الثقافة كمفهوم، وتراجع دور المثقف التنويري، وأصبحت ريشة في مهب الريح.

إن أي نهضة ثقافية عربية لا يمكن أن تنجح وترى النور بمعزل عن نهضة شاملة سياسياً وفكرياً وتربوياً واقتصادياً و...إذ لا وجود لأي نهضة ثقافية في ظل واقع سياسي مترهّل تغيب عنه رؤى التطوير والتنوير والتضامن العربي والذي هو أضعف الإيمان.

في ظل ثورة الاتصالات والتواصل وتفجّر المعرفة، والتي أصبحت سمة رئيسة للواقع الحالي لا بد من تفعيل العمل العربي المشترك وتعزيز آلياته وتطبيقه على أرض الواقع، و تمتين الروابط والوشائج بين الأقطار العربية، وتبنّي مشروع فكري عربي نهضوي تنويري، يبتعد عن الفردية والعزلة والمصالح الضّيقة، وتكريس الثقافة المنفتحة على الآخر، وصولاً إلى ردم الفجوة الكبيرة بين الأقطار العربية والتي ازدادت وتوسعت مع بداية العقد الثاني من هذا القرن فحلّ التناحر والتنابذ والصراع بين العديد من الدول محل التضامن والتعاون والتكامل والتي بقيت شعارات يتم طرحها خلال المؤتمرات والندوات واللقاءات العربيّة ليس إلاّ ؟!

واليوم مع تبدّل في المشهد السياسي وما شهده من تداخلات أدّت إلى تشويش في المواقف خلال العقد الأخير، بدأنا نلحظ عودة تدريجية للعلاقات السياسية والدبلوماسية بين البلدان العربية، والعمل على تنقية تلك العلاقات بما ينسجم مع تطلعات وطموحات الشعب العربي الذي يرى في أي تقارب فرصة كبيرة لإحياء روح العروبة، والعمل على تمتين الروابط الثقافية، والتي يُعوّل عليها الكثير لزيادة الترابط الفكري والثقافي والمعرفي بين أبناء العروبة.

ومع انتشار ثقافة العولمة وتحوّل العالم إلى قرية صغيرة لا يمكن للعرب أن يكونوا بمنأى عن هذا التأثير المباشر أو البعيد، فقوتهم والحفاظ على الهوية والوجود يكون من خلال انفتاح الأقطار العربية على بعضها البعض، وتعزيز الثقافة الوطنيّة والقوميّة، والارتقاء بحواملها المتعددة والمتجدّدة:التعليم، الإعلام، الكتاب، محاربة الأميّة، إنشاء سوق ثقافية مشتركة تعمل على النهوض بالثقافة العربيّة والارتقاء بها، والانتقال من مرحلة التنظير إلى مرحلة التطبيق، مع الاتكاء على الموروث الحضاري للأمة العربيّة، والذي يشكل عاملاً رئيساً في نهضتها وتقدّمها والاستفادة من تقنيات العصر وتوظيفها بالشكل الأمثل لتعزيز التواصل الحضاري والثقافي بين أبناء العروبة.

إنّ بناء استراتيجية ثقافية عربيّة يعدّ من أولويات التخلص من واقع الشتات الذي تعانيه ثقافتنا العربية، والتي هي ليست كما يريدها المثقفون العرب وكل من يعمل في المجال الثقافي..؟!

ثقافتنا العربيّة ليست بخير، وهي لا يمكن أن تتجاوز التحدّيات والتّشوهات التي لحقت بها إن لم تستثمر التقارب والتلاقي السياسي، وهما مقدمة للتقارب الثقافي بمختلف مجالاته وأنواعه، وبالتالي تساهم الثقافة كونها أحد اهم حوامل الوعي والنهضة في تعزيز الانتماء الوطني والقومي، والمساهمة في إيجاد الحلول الناجعة وبشكل نهائي لمشاكل المجتمع العربي السياسية والاقتصاديّة والاجتماعية.

إنّ أي نهوض في الواقع الثقافي العربي يجب أن ينطلق من دراسة التحديات التي تواجه الثقافة العربية وتحليلها والتغلّب على المعوّقات التي تعترضها من جهة، وتفعيل حركة التواصل الثقافي والمعرفي بين البلدان العربية وإقامة العلاقات الوطيدة بين المؤسسات الثقافية وفق خطط واستراتيجيات مستقبلية تأخذ بعين الاعتبار التطور التقني الحاصل في العالم، وصياغة مشروع ثقافي عربي جامع يكون امتداداً لما هو موجود والبناء عليه، فالثقافة لم تعد ترفاً كما يراها البعض ! او طقوساً فرديّة لأشخاص ينظّرون من أبراجٍ عاجية.....في الإصلاح والتغيير و...

الثقافة اليوم أضحت صناعة تحتاج إلى مقوّمات مادية ومعنويّة، بحاجة إلى رؤوس الأموال، بحاجة إلى التشجيع وتبني مشاريع ثقافية استثمارية شاملة في الفكر والمسرح والسينما والفنون وإنتاج الكتاب وتسويقه وغيرها من قضايا، وهذا يمكن أن يتحقق عندما تتطور وتتنقّى العلاقات السياسية بين البلدان العربية على أسس وطنيّة وقوميّة بعيداً عن الاصطفافات الإقليمية، ووضع مصلحة الشعب العربي في أولويات تلك العلاقات، وما يأمله كل عربي سواء أكان مثقّفاً أو عاديّاً ألاّ يبقى هذا حلماً بعيد المنال !؟؟

الحوراني: نحو مشهد ثقافي مغاير

حوار: فاتن دعبول

انشغل العالم باجتماع القمة العربية التي تطرقت في محاورها إلى غير شأن اجتماعي واقتصادي وسياسي، ولا شك أن أي تغير يطرأ على الساحة العربية، سيجد أصداءه على الواقع العربي إن كان لجهة العلاقات الدولية أم العربية، وما يمكن أن ينعكس على واقعنا المحلي في مشهده السياسي ومن ثم الثقافي.

وجميعنا يدرك أن الساحة الثقافية العربية غنية بأدبائها ومفكريها والمبدعين الذين طالت شهرتهم الآفاق، وأي انفتاح سياسي سيشكل مرحلة جديدة في تطور وانتشار الفنون الثقافية كافة، وهذا أمر لا يمكن تجاهله، وعليه فإن السؤال الذي يمكن أن يتبادر إلى الذهن: هل ستشهد القادمات من الأيام وفي ظل هذه المتغيرات السياسية، مشهداً ثقافياً مغايراً؟

وللوقوف عند أهم مقومات استنهاض المشهد الثقافي وتطوره، كان اللقاء مع د.محمد الحوراني رئيس اتحاد الكتاب العرب الذي بادرنا بالقول:

من المؤسف أن يكون الواقع الثقافي مرتبطاً وتابعاً للواقع السياسي، ومن المؤسف أيضاً أن ينظر المثقف إلى السياسي بوصفه مانحاً للحقوق والامتيازات، لأن هذا يعني بالضرورة تبعية المثقف للسياسي، وتأدية وظائف وواجبات للسياسي لا تنسجم في كثير من الأحيان، مع قناعات المثقف ومبادئه.

تحقيق الأمن والحرية

ويبين أنه انطلاقاً مما تقدم يمكننا القول: إن تجدد المشهد السياسي يستدعي بالضرورة تجديداً ونهوضاً في المشهد الثقافي، عندما يكون المثقف «إمّعة» وتابعاً للسياسي يأتمر بأوامره، أما عندما يكون المثقف صاحب قرار ورأي مستقل، فالواجب عليه أن يعمل في أصعب الظروف وأحلكها، وأن يكون داعية لتقريب وجهات النظر وإنهاء الخلافات بين الأنظمة السياسية المختلفة، وفي هذه الحالة لا يمكن للمشهد السياسي المتجدد أن يستنهض مشهداً ثقافياً مغايراً إلا بمقدار مناخ الحرية والديمقراطية التي يخلقها السياسي للثقافي، وهو مناخ لا يتحقق إلا بمصداقية المثقف وشعبيته الواسعة وصدقه في الانحياز لقضايا أمته المصيرية، وقضايا شعبه، وفي مقدمتها تحقيق الأمن والحرية والرخاء الاقتصادي.

أما عندما يقبل المثقف أن يكون منطقة من مناطق نفوذ السياسي وملكاً من أملاكه، فإن المشهد الثقافي سيبقى عاجزاً عن النهوض، سواء تحقق هذا النهوض سياسياً أم لم يتحقق، ذلك أن قادة هذا المشهد قبلوا أن يكون رأيهم مصادراً وكلمتهم تابعة.

تعزيز مفهوم المواطنة والانتماء

وأوضح رئيس اتحاد الكتاب العرب أن التواصل الثقافي بين أبناء الأمة، يجب أن يكون مستمراً، كما يجب على النخب الثقافية أن تعمل على تعزيز الديبلوماسية الثقافية الجامعة لأبناء الأمة، وهي ديبلوماسية هادئة وبناءة وقادرة على تجاوز الخلافات، لأنها تقوم بشكل أساسي على المصلحة التاريخية العليا لأبناء الأمة، بعيداً عن المصالح الآنية والضيقة التي تتحكم بالمشهد السياسي، لترتقي به حينا، وتهبط به في أحيان كثيرة.

لقد آن الأوان للاشتغال على المشتركات الثقافية والتاريخية والتربوية وتعزيز مفهوم المواطنة والانتماء، وتعميق مفهوم الهوية بمعناها الجامع لكل أبناء الوطن، وهو ما يؤسس لثقافة عربية جامعة وقادرة على استنهاض مشهد سياسي يليق بالأمة وتاريخها.

زاوية حادة..

شهر الكتاب

د.ح

من جديد انطلق شهر الكتاب السوري الذي تقيمه وزارة الثقافة الهيئة العامة السورية للكتاب.

ومن يتابع ما صدر خلال مرحلة طويلة من النشر يجد أن الكثير من العناوين مهمة سواء المترجمة أم المؤلفة، وعلى الرغم من أن نسبة حسم على سعر الغلاف تصل إلى ٥٠ بالمئة لكن الكتاب صار حلماً لدى الكثيرين منا مع الإشارة إلى أن أسعار منشورات الهيئة لا تهدف الربح المادي، وربما لا تغطي حتى نصف تكاليف النسخة..

ومن ذلك تبقى غير متناسبة مع قدرة شريحة القراء ولاسيما أن معظم هؤلاء من طلبة الجامعات..

فما العمل؟

أليس من الضروري العودة إلى تفعيل دور المكتبات الجامعية التي نسيها الجميع..

الدراما الأميركية وهدم منظومة الأسرة

عبادة دعدوش

الأسرة نواة المجتمع، وهي منه كالجذع من الشجرة والاشتغال على إلغائها يعني تشظياً في المجتمع، وتمكيناً أكثر لمن يريد توجيه سلوك الفرد نحو ثقافة الانحلال الأخلاقي بهدف جعله كائناً استهلاكياً إلى أبعد الحدود دون قيود، حيث يرى عبدة المال وأسياده من كبار الرأسماليين المُتنفذين، أن الأسرة عقبة بعد أن ثبت أن الأناس الأقل توازناً نفسياً والأقل ثقة بالنفس، هم الأكثر استهلاكاً واقتناءً وتعلقاً بالأشياء.. إن الأسرة في معظم الأحيان مصدر دعم نفسي، وتمنح الفرد المنتمي إليها عدة مسائل على هذا الصعيد منها الثقة بالنفس.

هناك توجه ملحوظ لدى صناع الدراما التلفزيونية الأميركية، والقائمين على المنصات الرقمية مثل: نت فليكس، نحو تجاوز كل الخطوط الحمراء في أغلب الأعمال الدرامية التي تقدمها لتثير الضجة وتحصد أكبر عدد من المشاهدات، حيث نرى المثلية الجنسية، العري، العنف، الجنس الجماعي، سفاح الأقارب وما شابه وكأنها ثيمات ثابتة بارزة لدى المنصّة !!

عبدة المال هؤلاء لا يُلقون بالاً لهدم منظومة الأسرة، عبر عرض ممارسات لأبطال أعمالهم الدرامية فيها اعتداء سافر على هيبة الأب أو الأم، وسأقدم مثالاً بعينه توخياً للدقة، وهو مسلسل اسمه شيم لس/قلّة حياء، حيث يظهر الابن ليب، وعمره سبعة عشر عاماً يضرب والده فرانك في أكثر من حلقة، ومبرر هذا السلوك أن الأب سكير انتهازي، لا يقدم شيئاً لأسرته، ويصل تحقير الأب في هذا المسلسل ذي الشعبية الكبيرة والذي بلغت أجزاؤه الأحد عشر جزءاً، إلى تبوّل ليب على والده من نافذة غرفته المرتفعة، وذلك لأن هذا المُراهق يعشق فتاة حسناء ورغم معرفة والده بذلك إلا أنه أقام معها علاقة عابرة،

ما أثار غضب الابن، فغافله وتبول عليه وقَبِلَ الأب بأن يتم ذلك تكفيراً عن الأذى النفسي الذي لحق بابنه جراء ما فعله !!

إن فكرة ترسيخ التعلّق المفرض أو التعلّق المَرضي بالجنس الآخر لدى المراهقين، هي فكرة هدامة وخطيرة، فما بالنا وقد اقترنت بإهانة الأب وتقديم العشق الشهواني على أي اعتبار، والمُقزز أكثر في المسألة أن تلك الفتاة كارين لا تتصف بشيء يستحق أو يُبرر إهانة المعنى الإنساني المتمثل بـ الأبوّة إن افترضنا جدلاً أن هذا الأمر قابل للتبرير، فالفتاة لا يميزها شيء سوى أنها جميلة جداً، والابن ليب عشيقها، يعلم أنها فاجرة عديمة الضمير والأخلاق بالمعنى الحرفي للكلمة، وهي تخونه عادة، لكنه استاء أن الخيانة تمت مع والده في هذه المرّة. أي عقل مريض قد يكتب مثل هكذا أحداث ؟! وأي جهة إنتاجية منحطة قد تنتج هكذا أشياء ؟!

يسعى المسلسل إلى تبرير ومَنطَقة الأفعال المُناهضة لقيم التعايش الأسري، عبر عرض أسوأ نماذج ممكنة للآباء والأمهات، والمشكلة تكمن في جعل تلك النماذج الشاذة هي أبطال المسلسل التي يرسخ لها صُناعُهُ كل الفنون البصرية والسمعية موسيقا تصويرية بتكلفة إنتاجية ضخمة، لجعل المُشاهد يتعاطف معها ويتبنى مواقفها!!

أبطال المسلسل، أسرة فقيرة تعتاش على السرقة!! وكأننا نتحدث عن الفايكنج أو القراصنة، أو قبائل صحراوية من العصور الغابرة من تلك التي كانت تعتاش من قطع الطريق والسلب والنهب والعدوان ! كيف يمكن القبول بهذا السلوك، كسلوك يومي اعتيادي لتحصيل لقمة العيش، يتعاون فيه الإخوة ويَعلم به بعض الجيران ولا أحد يستنكره أو يستهجنه !!

وقائمة المسلسلات المشينة من هذا النوع تطول، لدى المنصة الأشهر عالميّاً نت فليكس ومنها مسلسل جيم أوف ثرونس/ صراع العروش، ومسلسل إليت/النخبة حيث مقابل الفتاة الفاجرة كارين بمسلسل شيم لس نجد الشبقة مومس المَزاج القاصر كارلا المدعوة بالماركيزة الصغيرة.

تكمن خطورة هذه المسلسلات انطلاقاً من مقولة أن الناس يغضبون من مشاهدة الفعل المشين ويسعون لإيقافه ثم مع استمراره وتكراره عبر فترات زمنية متقاربة، يكتفون بالاستنكار، ثم مع الزمن تتضاءل ردود أفعالهم وتتلاشى ثم من الممكن أن يستمرئوه كما استمرأت مجتمعات عديدة مسائل فظيعة، كالعبودية ووأد البنات و.. و.، لذا لابدّ من الكتابة والحديث عن هذه الممارسات والدعوة إلى مقاطعة كل القنوات والمنصات التي تعمل على ضرب أبلغ قيم التعايش المُتمثلة بمنظومة الأسرة.

نصر الدين البحرة.. الأديب والإعلامي

أحمد بوبس

نصر الدين البحرة الأديب القاص والكاتب المؤرخ.. غاص في تاريخ دمشق وحواريها وأزقتها، فاستنبط منها الدرر والجواهر، وصاغها حكايات ممتعة التي طالما نهلنا منها وتتلمذنا عليها.. ونصر هو ابن الأديب والصحفي سعيد البحرة الذي أصدر عام ١٩٣٦ جريدة (لواء الجزيرة) وترأس تحريرها، وتوقفت عن الصدور عام ١٩٤١ بسبب وفاة صاحبها.

في هذه الأجواء الأدبية والثقافية نشأ نصر الدين البحرة عام ١٩٣٤ في حارة مئذنة الشحم بحي الشاغور الدمشقي، فأحب الكلمة والأدب متأثراً بوالده، لكن والده توفي وهو في السابعة من عمره، فتولت والدته رعايته، وألحقته بالمدرسة، وخلال دراسته وجد في المكتبة الظاهرية ضالته المنشودة، فقد كانت بمثابة المكتبة الوطنية، فأكب ينهل من كنوزها من الكتب والمجلدات، حتى امتلك ثقافة عميقة وموسوعية، أهّلته ليخوض غمار الكتابة في مختلف فروعها بمقدرة وتمكن.

بعد نيله الشهادة الثانوية التحق نصر الدين البحرة بكلية الآداب بجامعة دمشق ودرس الفلسفة، وبعد تخرجه من الجامعة عمل في التدريس الابتدائي والثانوية مدرساً للفلسفة واللغة العربية.

في منتصف الخمسينيات من القرن العشرين وإلى جانب التدريس، عمل نصر الدين البحرة في الصحافة، وكتب في صحف (صوت العرب) و(الوعي) و(الصرخة) و(الطليعة) و(الرأي العام).. وعند إصدار جريدة (الوحدة) في دمشق عام ١٩٥٩ نُدب من وزارة التربية إلى وزارة الإعلام، كي يتفرغ للعمل الإعلامي، فعمل محرراً في الجريدة، وعندما صدرت جريدة (الثورة) في أول تموز ١٩٦٣ عمل فيها محرراً، وتولى فيها مهام أمين التحرير.. وتولى فيما بعد رئاسة تحرير مجلة (التراث العربي) التي تصدر عن اتحاد الكتاب العرب، كما تولى رئاسة تحرير مجلة (مجلس الشعب) التي كانت تصدر عن المجلس لسنوات طويلة، وهو مؤسسها.

في الجانب الأدبي كتب نصر الدين البحرة القصة القصيرة والشعر.. ومن أوائل قصصه (أبو دياب بكره الحرب)، شارك فيها بمسابقة القصة القصيرة في مهرجان وارسو للشباب والطلاب عام ١٩٥٥، ونال بها الجائزة الثانية، وحتى نعرف قيمة هذه الجائزة، نذكر أن رئيس لجنة التحكيم كان الأديب التركي الكبير ناظم حكمت.. وتوالت بعدها قصصه، فأصدر عدة مجموعات قصصية بلغ عددها ست مجموعات هي (هل تدمع العيون)،(أنشودة المروّض الهرم)،(رمي الجمار)،(رقصة الفراشة الخيّرة)،(محاكمة أجير الفران)، و(أغنية المعول) وهي مجموعة قصصية ومسرحية للأطفال)، وأصدر مجموعة شعرية وحيدة هي (البستان).

وفي السياسة أصدر كتابي (الثورة في أفريقيا) تناول فيه المد الثوري الذي شهدته أفريقيا في النصف الأول من ستينيات القرن العشرين كثورة باتريس لومومبا في الكونغو وثورة أحمد سيكوتوري في غينيا ضد قوى الاستعمار وغيرها، وكتاب آخر بعنوان (نفسية اليهودي في التاريخ).. وهذا كتاب مهم، وضعه نصر الدين البحرة بعد أن اطلع على الكثير من الكتب التي تتحدث عن اليهود عبر التاريخ، ووصل فيه إلى أن اليهودي متعصب عابد للمال والذهب والفضة، قاس تجمّع في قلبه كل حقد الأرض، وهو متعطش للدم ولا حدود لشهوته للانتقام والقتل والتدمير.. وفي السياق نفسه له دراسة مهمة بعنوان (من هو اليهودي ؟)، نشرها في مجلة (الفكر السياسي) التي تصدر عن اتحاد الكتاب العرب، وتضمنت عرضاً وافياً لكتاب يحمل عنوان الدراسة نفسها (من هو اليهودي ؟) لمؤلفه اليهودي اسحق دويتشر، وترجمه إلى العربية نجاة قصاب حسن، والذي جعلني أقف عند هذه الدراسة المهمة أنها تأتي استكمالاً لكتابه (نفسية اليهودي في التاريخ)، لأن الدراسة ولأن الكتاب أيضاً يكشف عن الحقد الصهيوني الأسود، ليس ضد العرب وحسب، بل ضد الإنسانية جمعاء.

ولنصر الدين البحرة عدة كتب في الدراسات الأدبية واللغوية، منها (الأدب الفلسطيني المعاصر بين التعبير والتحريض) و(موشور اللغة) و(أحاديث وتجارب مسرحية).. ومن كتبه الهامة (دمشق الأسرار)، ويقصد البحرة بهذا العنوان أسرار محاسن دمشق وأسرار عشقه لها، وفي الكتاب جمع كل ما كتبه الأدباء وتغنى به الشعراء عن دمشق ومحاسنها ومفاتنها.

وإضافة إلى الكتابة أعدّ نصر الدين البحرة وقدّم العديد من البرامج الإذاعية الأدبية والثقافية، كما شارك في إعداد العديد من البرامج الثقافية التلفزيونية.. وهو من رواد المسرح القومي، شارك في التمثيل في بداياته، ثم تفرغ للعمل الإعلامي والكتابة، وقبل ذلك له تجربة محدودة في التمثيل والإخراج في الأندية الفنية والفرق المسرحية الخاصة وبشكل خاص (النادي الفني).

عانى نصر الدين البحرة في أواخر حياته من العزلة ومن مرض الكورونا، ليرحل عن هذه الدنيا بتاريخ الخميس ٢٩ نيسان ٢٠٢١ عن سبعة وثمانين عاماً، أمضى أكثر من ثلثيها في خدمة العمل الثقافي والأدبي.

ونصر الدين البحرة كان بالنسبة لي أستاذاً وصديقاً، تعرفت به في مطلع الثمانينات من القرن العشرين، أي منذ أكثر من أربعين سنة، لم ينقطع خلالها التواصل بيننا، وآخر عهدي به حينما أقمت عن كتاباته القصصية ندوة بحضوره في مجمع دمر الثقافي قبل رحيله بأشهر ضمن فعاليات مهرجان دمر الثقافي الذي كنت أتولى إدارته.

جان جاك روسو.. مفكر لكلّ العصور

مها محفوض محمد

جان جاك روسو (ولد في جنيف، ٢٨ حزيران ١٧١٢ وتُوفي في إيرمينونفيل، ٢ تموز ١٧٧٨ (عن عمر ناهز ٦٦ عاماً)، هو كاتب وأديب وفيلسوف وعالم نبات جنيفي، يعد من أهم كتاب عصر التنوير، وهي فترة من التاريخ الأوروبي، امتدت من أواخر القرن السابع عشر إلى أواخر القرن الثامن عشر الميلاديين. ساعدت فلسفة روسو في تشكيل الأحداث السياسية، التي أدت إلى قيام الثورة الفرنسية. حيث أثرت أعماله في التعليم والأدب والسياسة.

يُعد كتابه: العقد الاجتماعي حجر الزاوية في الفكر السياسي والاجتماعي الحديث. كانت رواية روسو العاطفية «جولي، أو إلواز الجديدة» (١٧٦١) ذات تأثير مهم في تطوير الحركة ما قبل الرومانسية والرومانسية في الخيال.

وعمله بعنوان «في التربية: إميل نموذجًا» (١٧٦٢) أطروحة تعليمية عن مكان الفرد في المجتمع. مثّلت كتابات روسو للسير الذاتية -مثل كتاب الاعترافات الذي ألفه في عام ١٧٦٩ ونُشر بعد وفاته والذي أسس السيرة الذاتية الحديثة وكتابه غير المكتمل بعنوان أحلام يقظة جوال منفرد- عصر الحساسية في أواخر القرن الثامن عشر، وأظهرت زيادة التركيز على الذاتية والتأمل اللتين ميّزتا الكتابة الحديثة في وقت لاحق.

كوّن روسو صداقة مع الكاتب الفلسفي دنيس ديدرو في عام ١٧٤٢، وشرع لاحقًا للكتابة عن مشكلات ديدرو الرومانسية في كتاب الاعترافات. كان روسو أشهر الفلاسفة بين أعضاء نادي يعقوب خلال فترة الثورة الفرنسية. شُيّد قبره كبطل وطني في معبد بانتيون في باريس في عام ١٧٩٤ أي بعد ١٦ عامًا من وفاته.

يقول روسو: « أعشق الحرية وأكره القيود والاعتماد على الغير»

«يولد الإنسان حراً لكن القيود تحيط به في كل مكان»

لاتزال أقواله وأفكاره تثير المخيلة وتحرك الأفئدة. جان جاك روسو عراب الثورة الفرنسية، ستبقى أعماله خالدة للأبد لأن الحداثة فيها لا تموت وكل جيل يأتي يكتشف فيها جديداً.

«حداثة روسو» نشرت مجلة الأنوار الفرنسية التي تصدر عن جامعة بوردو في سلسلة من المقالات لأهم طروحات روسو، تقدم فيها أهم المحطات الفاصلة من وجهة نظر فلسفية وتاريخية، وقد جاء العرض ضمن سياق تاريخي متسلسل يتيح المجال للتطرق من جديد إلى أفكار روسو وتكيف زعماء الثورة الفرنسية معها ثم لعلاقة تقاليد الجمهورية الفرنسية مع هذا الفيلسوف.

أيضاً هناك نصوص تبحث في القراءات الماركسية من أوساط الحزب الشيوعي الإيطالي لأفكار روسو خلال السنوات ١٩٥٠-١٩٦٠ وغيرها في كيفية استخدام فكر روسو في نقاشات فلسفية معاصرة، كما تتضمن إعادة صياغة لمشروع النقد في مدرسة فرانكفورت ثم جدل الشمال الأميركي حول «حدود العدالة» أيضاً نظريات الديمقراطية المتداولة.

أفكار روسو التي بقيت تشع في مختلف المراحل وفي بقع جغرافية مختلفة تفسر مدى أهمية فلسفة روسو في الفكر السياسي الغربي منذ أكثر من قرنين وأفكاره التي بقيت فاعلة ويعاد تفعيلها اليوم ولاسيما تلك التي تخص دور طروحاته في قيام الجمهورية الفرنسية. اليوم وبحسب الكاتب يجب إعادة طرحها بدقة ومع أن الآباء المؤسسين للجمهورية الثالثة من مفكرين ورجال قانون وسياسة ليسوا من أتباع جان جاك روسو لكنهم ناقشوا وتوقفوا كثيراً عند مبادئه التي تتعلق بحرية وسيادة الشعب، متقدمين بذلك على اليعقوبيين (أنصار المذهب الديمقراطي المتطور أيام الثورة الفرنسية).

ويرى الكاتب أن روسو قدم دعامة كبرى لمنظري الاشتراكية في إيطاليا ليتميزوا بذلك عن النموذج السوفييتي، وليس ما صدر في هذا العدد فقط بل إن جميع المقالات المتعلقة بالفلسفة السياسية المعاصرة تشهد على غنى الروسويه (مبادئ روسو) التي بحثت عن المجتمع العادل وتركت بصمات عميقة في طروحات المفكرين والفلاسفة منذ عصر الأنوار حتى اليوم، فأول بحث عزز مكانته كمصلح ومجدد كان حول «اللامساواة بين الناس» هاجم فيه التفاوت الطبقي وهاجمه فولتير يومها فكان الهجوم الذي صنع مجد روسو.

كان همه الأول قول الحقيقة فكتب إلى دالامبير وفي تلك المرحلة صدرت أعماله الثلاثة: «العقد الاجتماعي» الذي حظر دخوله إلى فرنسا و«إميل» الذي حكم عليه بالحرق وبصاحبه إلى السجن فعرف نجاحاً كبيراً دفع به إلى مصاف الفلاسفة وفي جنيف حرق الكتاب وهاجمه رجال الكنيسة السويسرية، أما مؤلفه «الاعترافات» فكان سبباً في الهجوم عليه وهروبه إلى بريطانيا حيث عرض عليه اللجوء هناك ليكتب ستة أجزاء من الاعترافات التي دخلت إلى صالات النبلاء، وقبلها كان قد نشر «أحلام» الذي اعتبر صرحاً فلسفياً انتقد فيه الكذب والنفاق الاجتماعي مع صعود البرجوازية واعتبرت مقولته: «إذا امتلكت الجرأة أن تقول: إنك أفضل من الآخرين فلتقل» مدخلاً لكتاب الاعترافات.

وفي «حـوارات»: روسو يحاكم جان جاك مقولته: «إلى كل فرنسي يعشق العدالة والحرية» التي وزعها في الشوارع، كما سطع نجمه عندما أجاب بنعم على سؤال أكاديمية ديجون: إذا كان تطور العلوم والآداب يسهم في تطوير وتنقية العادات والتقاليد.

كما كتب في المسرح والموسيقا وساهم بشكل أساسي في معجم ديدرو.

يقول كارل بارت: إن طبقات المجتمعات الشعبية تجد نفسها فيه. وتقول مدام دوستيل لقد ألهب الأفكار التي عاصرها، أما الروائي ستاندال فيقول:

روسو هو الكاتب الأكثر بلاغة في القرن الثامن عشر ممن أنتجتهم أوروبا.

كان شديد الحساسية وقد طغت الحساسية على عقلانيته، يقول هيريدر: كل شيء لديه جميل وكل ما يقوله حديث.

ويؤكد لامارتين أن روسو كان معلم الخطباء يقول: ندين لروسو بالبلاغة التي دخلت إلى القضاء في الدرجة الأولى،أما مهمته الأدبية فهي صقل الأدب المدني لفرنسا الذي استخدم في الثورة والمناقشات السياسية.

روسو وفولتير

يقول برناردان دوسان بيير الروائي المعروف: إن فلسفة فولتير تنتمي للسعداء بينما روسو يعد فيلسوف التعساء لأنه يرافع عن قضيتهم ويبكي معهم ولدى قراءة الفيلسوفين تشعر أن سعادة الأول تحزننا بينما حزن الثاني يعزينا.

يقول غوته: مع فولتير أنت في عالم قديم ينحسر ومع روسو أنت في عالم متجدد دوماً.

وفي القرن العشرين قال أندريه جيد: عندما نقرأ أعمال فولتير ندرك أهمية روسو لأن رسالة الأول إلى الثاني من أهم أعمال النقد في الأدب.

يعتبر روسو الحزن حالة تمنح الإنسان فرصاً للوقفة مع الذات ومع المجتمع وهو يجد في الحزن سعادة. وكان روسو من مؤسسي المدرسة الرومانسية التي شاعت في أوروبا فيما بعد. وعن علاقته مع النساء فقد كان يحب بصدق وإخلاص، يقول بعد أن تركته حبيبته دوارنز: لقد عذبت روحي بغيابها عني، فحين رحلت هجرتني الأفراح ولم يعد يعني لي لا سحر الطبيعة ولا بهاء النهار شيئاً لطالما حلمت أن نعيش في مسكن واحد تبدد الحلم وضاع الأمل.

من العالم

كيف يمكن للكتب الكلاسيكية أن تغير حياتنا؟

وفاء يونس

ماذا عن الكتاب، ومادوره في حياتنا، الولايات المتحدة التي يظن الكثيرون أنها لا تقرأ تصدر سنوياً آلاف العناوين المهمة في الاجتماع والفلسفة، وهذا باحث أميركي يتحدث عن الكتب المهمة ودورها في تشكيل الفكر، في هذا المقال الذي ترجمته لطفية الدليمي - ونشرته مجلة الفيصل السعودية يقدم الكثير مما يجب أن نعرفه.

(التحقنا أنا وأخي عام ١٩٨٥م بمنظومة التعليم الخاصة بالمدارس العامة المكتظة بالطلاب إلى حدود كبيرة.. لكن برغم هذا الاكتظاظ أوفت وجبات الغداء المجانية في تلك المدارس بقسط كبير من حاجاتنا الغذائية وأبقتنا على قيد الحياة، وإن في كفاف لا تخطئه العين؛ فقد كنّا -مثل كثرة من المهاجرين سوانا- فقراء بلا غطاء مالي، فضلًا عن أننا ما كنّا قد حدّدنا وجهاتنا اللاحقة في الحياة؛ بسبب عدم قدرتنا على التكيف ومعرفة كيفية توجيه الأمور بدقّة وانتظام وحزم.. كانت ظلالُ نشأتنا السابقة في الدومينيكان لم تزل تلقي بعبئها الثقيل علينا وتمنع عنا رؤية معالم الطريق غير المطروق في حياتنا النيويوركية الجديدة.

لم تكن حياتي كطالب مدرسة ثانوية آنذاك تبشّرُ بأية بداية ميمونة لما سأختصُ به من مهنة مستقبلية كإداري أكاديمي وعضو قسم تدريسي في إحدى جامعات النخبة الأميركية(١) Ivy League (يقصد جامعة كولومبيا، المترجمة).. لكن ما بدت رحلة منفّرة لي في بداية حياتي الدراسية تلك، أصبحت، في مرحلة ما منها، أقل تنفيرًا وتعويقًا لي، ثم استحالت بداية لشروعي في رحلة ممتعة استطعتُ فيها التأمل بهدوء وثقة في العالم الفكري والاجتماعي الذي وجدتُني فيه حينذاك.. استمدّ ارتقائي الفكري غذاءه من تعليم يستأنسُ بعضُهم توصيفه بأنه تعليم يقوم على طول المعاشرة مع «الكتب العظيمة The Great Books»، وهو التعليم ذاته الذي جعلني على قدر غير يسير من الحساسية تجاه توجهات النقد الثقافي المؤثر نحو المعتَمَد(٢) The Canon- تلك التوجهات التي تؤكّدُ أنّ أعمال هوميروس وسوفوكليس وأفلاطون ومونتين وثربانتس وغوته وهيغل ودوستويفسكي وفيرجينيا وولف إلخ، ليست أعمالًا موجّهة لشخوص أمثالي، بل هي أعمالٌ كُتبت حصريًا للبيض، الأغنياء، المولودين بامتيازات طبقية لم أستطع إليها سبيلًا.

الكلاسيكيات والأجيال الشابة

اعتدتُ كلّ صيف، منذ عام ٢٠٠٩م، أن أعرّف الحوارات الأفلاطونية بشأن سقراط لأعداد متزايدة من طلبة المدارس الثانوية الذين ينتمون لعوائل تُصنّفُ بأنها ذات الدخول الأدنى في الولايات المتحدة، والذين يطمحون لأن يكونوا أوائل من يرتادون الكليات بين عوائلهم.. كانت غايتي من تلك الفعالية أن أعرّف هؤلاء الطلبة على التقاليد السياسية والأخلاقية والفلسفية الرفيعة التي يمكن لأعمال سقراط وتضحيته أن تكون مصدرًا ملهمًا لها.. شهدتُ سنة بعد أخرى الكيفية التي يرتقي بها طلبتي لمستويات رفيعة من الامتحان الذاتي والمساءلة الشخصية لانتماءاتهم الأخلاقية والفلسفية، وفي كثير من الأحيان كانوا يجتهدون في إعادة توجيه دفة حياتهم بطريقة مخلصة ومستديمة وثابتة.

لم يعُد طلبتي يرون في أرسطو وهوبز ولوك وكل الشخصيات الفلسفية العظيمة التي ندرسها محض نصوص جامدة كتبها أشخاص غريبون عن البشر، بل راحوا يرونهم مفكرين يتحدثون إليهم بصوت حي حول موضوعات ذات أهمية وراهنية كبرى هم في مسيس الحاجة إليها؛ لكي يطوروا خبراتهم الشخصية.. ومرة بعد أخرى بتُّ أشهد في هؤلاء الطلبة اليافعين انفتاحًا على مصادر ثمينة للارتقاء الذاتي وإضفاء معنى على الحياة بعيدًا من المحدوديات والضغوطات المالية التي لطالما حجّمت قدراتهم وأفقرت حيواتهم من قبلُ.

يمكنُ للقدرة التحريرية التي تحوزها الأعمال العظيمة المنضوية في «المعتمد» أن تضيع بسهولة وسط المتاهة النظرية التي تعجّ بها أقسام الإنسانيات الأكاديمية، وفي الوقت ذاته صارت مؤسسات التعليم العالي تُبدي قبولًا متزايدًا للتخلي عن فكرة التعليم الحر القائم على فكرة التعلم من أجل التعلّم ذاته، وصارت ترجّحُ الدراسات الخاصة بالتعليم المهني والمتخصص.. لكن على الرغم من ذلك لم تزل الكلاسيكيات القديمة تمتلك القدرة على التأثير في الأجيال الشابة وجعلهم يتخذون مسارات في حياتهم يعجز عن فعلها التعليم التقني.. نحنُ هنا لا نسعى للتقليل من الأهمية العملية والتطبيقية للتعليم التقني العالي والمتخصص، كل ما نبتغيه هو معاكسة النكران السائد لقدرة الأقسام الأكاديمية الخاصة بالإنسانيات في كلياتنا وجامعاتنا على حفظ استمرارية زخم وحيوية التعليم الحر وأهميته في نشأة أجيالنا الجديدة.

ماهية الكتاب العظيم

ثمة قناعةٌ واسعة الانتشار بين أوساط أساتذة الأدب الجامعيين مفادها أنْ ليس هناك شيء اسمه «كتابٌ عظيم»، ولو شئنا وصف الحالة بطريقة أفضل توصيفًا وأكثر وضوحًا فيمكن التصريح بوجود رؤية راسخة في الأقسام الأكاديمية الخاصة بالإنسانيات تفيدُ بعدم وجود أساس مكين يمكن بعونٍ منه أن يستمدّ المرء أحكامًا قابلة للتعميم فيما يخصُّ عظمة كتاب ما؛ لكنّ تحدي فكرة «العظمة» الكامنة في عمل أدبي أو فنّي (وهو التحدي ذاته الذي ينطوي على فكرة إضفاء قيم تراتبية على التعبيرات الثقافية) ليس بذلك القدر من غير المعقولية الذي قد يبدو عليه للوهلة الأولى.. لو شاء أحدٌ ما الإشارة إلى صفات جمالية في عملٍ ما فسيعرفُ قبل غيره مدى المشقة الكامنة في هذا الفعل؛ إذ إن محاولات بشرية حثيثة منذ القدم فشلت في تقديم معايير موضوعية يمكن أن تكون نبراسًا هاديًا لنا في تشكيل شواهدنا على «عظمة» أشياء محددة في أعمال أدبية أو فنية.. إضافة لذلك فإن الأحكام الجمالية يمكن أن تنحلّ بسهولة من أحكام صلبة لتنتهي في خاتمة الأمر إلى أن تكون مدار تفضيلات شخصية ومسألة تقييمات مشبعة بالفردانية والشخصانية.

روزفلت مونتاس

لكننا، ومن غير التقليل من شأن استبصارات النظرية النقدية المعاصرة، نستطيعُ احتواء القوة الباعثة على شلل الأدب في هذه النظرية عبر تجنب أي جهد منظّم لتعريف الكتاب (الأدبي) العظيم -أو ما يسمّى بالعمل الكلاسيكي- بالإشارة إلى أي ماهية تعريفية سواء كانت جمالية أو أيديولوجية أو تأريخية.. نستطيعُ في المقابل، وببساطة تامة، عمل مسح شامل لكل النصوص التي استعصت على مفاعيل الزمنِ ووصلت إلينا في سجلات مكتوبة متخطية بضعة آلاف السنوات المعروفة، ولنلحظْ في هذا الشأن أنّ أعمالًا بذاتها وليست سواها هي التي برهنت قدرتها على إضاءة حيوات كثيرين من شتى صنوف البشر في ظروف تأريخية متعددة ومختلفة.

استطاعت هذه الأعمال بطريقة ما تخطّي ظروف نشأتها الأولى، وعلى الرغم من أنها تحكي عن عصرها فإنّ لها القدرة على تجاوز حدود ذلك العصر والامتداد عبر الزمن نحو عصور لاحقة من ضمنها عصرنا الحالي.. أنا، على سبيل المثال، لستُ في حاجة لفهم الكثير -بل حتى أقل القليل- من الصراعات السياسية التي سادت مدينة فلورنسا الإيطالية، في القرن الرابع عشر، (وهي صراعات نشهدُ أمثلة لها في «الكوميديا الإلهية» لدانتي) لكي أجعل ذلك العمل، «الكوميديا الإلهية»، مصدرًا ملهمًا لتأملاتي العميقة بشأن الإنسانية.. الأعمال (الأدبية) العظيمة إنما صارت عظيمة لانطوائها على مقدرة بينة -وإن تكن مراوغة بعض الشيء- تضيء تجربتنا الإنسانية المشتركة.

مكامن الدهشة والغموض

ليس المرء في حاجة لأن يفترض ماهية ميتافيزيقية للطبيعة البشرية لأجل إدراك أن كل البشر يتشاركون خصائص أساسية متماثلة: ابتداءً من التنظيم البيولوجي المتخصص حتى المعمارية الجينية المتخصصة ومن أشكال محددة من الإدراك حتى حالة العيش الوجودية التي ندرك فيها جميعًا حقيقة الموت الذي يمثل الخاتمة الطبيعية لوجودنا البشري.. يمكن الحفاظ على استبصارات النظرية النقدية، وفي الوقت ذاته يمكن عدم استبعاد الأساس الذي تقوم عليه حججنا بشأن كيفية عمل الفن والأدب في الكشف عن مكامن الدهشة والغموض في تجربتنا الإنسانية المشتركة.. من المثير للملاحظة والدراسة أننا يمكن أن نستمرئ متعة إلى أقصى الحدود المتصورة من الحقيقة الخارقة للطبيعة التي مفادها أن الأعمال العظيمة في الأدب والفن يمكن أن تمسك بالخواص المشتركة في تجربتنا الإنسانية عبر وسائط وأساليب أبعد ما تكون عن الخصيصة التشاركية، وأهمها ثلاثة: الفردانية، والذاتية، والخصوصية.

عندما شرعتُ في تدريس مادة (كتب عظيمة) لطلبة الدراسات الإنسانية الأولية بجامعة كولومبيا (وهو المنهج الأساسي ذاته الذي درستُهُ أنا قبل ثلاثين سنة سبقت رجوعي أستاذًا في كولومبيا.. يضمُ المنهج الأساسي الأعمال الكلاسيكية في «المعتمد» الأدبي والفلسفي بحسب التقاليد الغربية السائدة) فإنني في الغالب أسألُ الطلبة المسجّلين في المنهج الدراسي لهذه المادة السؤال الآتي: عندما تبدأ الشيخوخة والموت بالزحف إليك، ما الذي يجب فعله؟ أعلمني هؤلاء الطلبة أن هذا السؤال ظل يرنّ في عقولهم لسنوات طويلة بعد تخرجهم وانغماسهم في مشاغل مهنية متنوعة المشارب.. صحيحٌ أن هؤلاء الشباب يأتون للجامعة مدفوعين بدافع تحسين فرص توظيفهم وحيازة مهارات يمكن لهم معها الحصول على ميزات تنافسية في سوق محكومة بمتطلبات تجارية ومالية محتدمة، لكنهم يدخلون الجامعة في غمرة معضلات وجودية تجتاحهم بطريقة عنيفة، وهم يتطلعون لا إلى الحصول على وظائف مرموقة ماليًا فحسب، بل إلى إعادة تكييف حيواتهم أيضًا وجعلها أكثر تناغمًا مع الحقائق الصارخة للوجود البشري بكلّ تعقيداته وتناقضاته وإشكالياته.)

التاريخ في السينما: الخيال يغيب الوقائع

دلال إبراهيم

يسرد كاتب السيناريو جريجوري ألين هوارد ذكرياته، قبل ٢٦ عاماً حين حمل سيناريو فيلم يتحدث عن البطلة الأفرو- أميركية الداعية لإلغاء عقوبة الإعدام هارييت توبمان - وحديثاً جرى تكريمها بطبع صورتها على فئة ٢٠ دولاراً- حين رد عليه مدير الاستديو» هذا السيناريو رائع، لنعطي جوليا روبرتس دور هارييت توبمان القصة قديمة ولن يرى أحداً الفرق» ولكن في عام ٢٠١٩ تناولت السينما السيرة الذاتية لهارييت ولعبت الدور الممثلة البريطانية من أصل نيجيري سينيثيا إريفو، وفازت بترشيحين لجوائز الأوسكار وحفاوة بالغة.

وهذا يبرز السؤال الملح» هل تصدق السينما في نقلها التاريخ؟ وهل هي مخلصة له؟

يقول كاتب سيناريو فيلم (كل رجال الرئيس - ١٩٧٦) وليم جولدمان - الذي تحدث عن فضيحة ووترغيت-: « ليس مهماً أن يكون ما تقوله في الفيلم صحيحاً، بل المهم أن يعتقد الجمهور أن هذا هو الصحيح «

ولد الفيلم التاريخي مع ولادة السينما، وفي أعقاب عرض فيلم (ولادة أمة) عام ١٩١٥ للمخرج وليم غريفيث، تحدث فيه عن حروب الانفصال في الولايات المتحدة، رأى الرئيس ويلسون في السينما إمكانيات « كتابة التاريخ تحت الأضواء «.

وفي الحقيقة، غالبًا ما تتعامل أفلام التاريخ أو الأفلام «التاريخية» باستهتار مع الوقائع، دون إيلاء أي اهتمام للبعد التاريخي، ولذلك نراها غالباً ما تقع في: أخطاء واقعية، مفارقات تاريخية، مؤثرات خاصة أو تشويه للحقائق.. هذا هو ما لديها!! ورغم ذلك هذا لا يغير من متعة المتفرج.. ما يعني ابتعاد تلك الأفلام عن الشرط الأول لتحقيق فيلم يوصف بأنه تاريخي.. أي ضرورة إثبات الحقائق والشخصيات الرئيسية من قبل المؤرخين... وما نراه لا ينطبق على معظم الأفلام.. حيث يبتعد صناع الأفلام عن التقيد الحرفي بوقائه الأحداث، وبالتالي يتحركون ضمن مروحة مساحية واسعة، بذريعة الضروريات السردية السينمائية والحبكة وكسب الجمهور.

وضمن هذا السياق، أثار عرض منصة نتفليكس المسلسل الوثائقي «الملكة كليوباترا» عاصفة من الغضب في الشارع والأوساط الثقافية المصرية.. وسبقه بأيام قليلة، عرض المنصة لمسلسل بعنوان «الملكة شارلوت: قصة من بريدجرتون». يسرد المسلسل، المكوّن من ست حلقات، قصة زواج السمراء شارلوت (١٧٤٤-١٨١٨) من الملك الإنجليزي جورج الثالث. (١٧٣٨-١٨٢٠).. التي تنحدر مباشرة من الفرع الأسود من البيت الملكي البرتغالي، وربما كانت أول ملكة بريطانية سوداء. ورغم أنّ أحداث المسلسل تستند إلى وقائع حقيقية إلا أنه يستهل أولى حلقاته بتنويه مكتوب ومنطوق يقول: «هذه قصة الملكة شارلوت، وهي ليست درساً في التاريخ، بل قصة خيالية مستوحاة من الواقع، وكل تجاوزات الكاتبة متعمدة تماماً». وفي أعقابه عرضت المنصة مسلسلًا وثائقياً تاريخياً بعنوان «ملكات أفريقيات: إنجينجا» يعيد التعريف بالملكات الأفريقيات بأسلوب وثائقي درامي ومقابلة خبراء التاريخ، ويبدأ موسمه الأول بالملكة إنجينجا.. وأيضاً عرضت مسلسلاً بعنوان «حكايات فولكلورية أفريقية، أعيدَ تخيُلها دراميـاً» (ويـروي ست حكايات شعبية أفريقية في سلسلة مختارات متعددة اللغات لاستكشاف موضوعات الحزن والحب والتصوف)

صدرت هذه الأعمال خلال الشهور القليلة الماضية وسبق لنتفليكس أن عرضت أعمـالًا أخـرى تحتفي بالثقافة الأفريقية، وهو ما يثير التساؤل حول الأسباب التي تقف وراء هذا الاحتفاء وأسباب اختيار ممثلة سمراء (أديل جيمس) لتقوم بدور كليوباترا.. الأمـر الـذي جر على المنصة تهمة تزوير التاريخ والوقوع في مغالطة تاريخية صارخة-كما جاء في بيان صادر عن وزارة السياحة والآثار المصرية- ولا سيما أن الفيلم مصنف فيلماً وثائقياً لا عملاً دراميا، الأمر الذي يحتم على القائمين على صناعته ضرورة تحري الدقة والاستناد إلى الحقائق التاريخية والعلمية.. مع العلم أن الفيلم يستند على جدل تاريخي، حسب ما جاء على لسان الخبراء في المسلسل في عدم إثبات أصل كليوباترا العرقي بالتحديد.

تقول المرويات أن (كليوباترا السابعة) تنحدر من أصول مقدونية عَريقة حكمت مصر نحو ٣٠٠ سنة، أسسها الملك «بطليموس الأول» وهو أحد القادة المقدونيين بجيش «الإسكندر الأكبر» الذي آلت إليه ولاية مصر بعد وفاة «الإسكندر»، وأسس الأسرة البطلمية، وهو الذي تزوج من الملكة «برنيكي الأولى» ذات الأصول المقدونية أيضاً، وأنجبا الملك «بطليموس الثاني» حيث استمر من بعده أبناؤه وأحفاده الملوك في التزاوج من أخواتهم الإناث طبقاً لعادات ذلك العصر، وصولاً للملكة «كليوباترا السابعة» وأخيها «بطليموس ١٤»، محافظين على نقاء عرقهم المقدوني خلال كل هذه الفترة الزمنية.. ولكن وفي ظل غياب الوثائق المكتوبة، يبقى من السهل تزييف التاريخ، روايات مقابل أخرى.. سالي آن أشتون واحدة من المتحدثين في الوثائقي ومؤلفة كتاب (كليوباترا ملكة مصر) تقول كان هدفي من هذا الكتاب محاولة العثور على (كليوباترا الحقيقة) بيد أنني أدركت فيما بعد وفهمت أن ما كنت أعنيه بكليوباترا (الحقيقية) هو رؤيتي الخاصة لكليوباترا.. وتؤكد أن استبعاد أن تكون بشرة كليوباترا سمراء غالباً ما يصدر من تحيز أوروبي، ولكن تثبت الأدلة المتبقية أن كليوباترا كانت تعتبر نفسها مصرية وبالطبع من أصل مقدوني.. أدلة قوية من حياتها في مصر تشير إلى رغبتها في أن يُنظر إليها على أنها مواطنة مصرية في موطنها الأصلي وأنها أهملت تراثها الإغريقي لصالح تقاليدها (المصرية) الأصلية.

وهذا الجدل التاريخي، حول لون بشرة الملكة المصرية استغربه الخبراء في المسلسل:» بما أنّ كليوباترا تعتبر نفسها مصرية يبدو من الغريب أن نصر على تصويرها على أنها أوروبية المظهر بامتياز».

غياب صيغة الجزم يظهر أيضاً عبر تناقض الكلمة والصورة في الفيلم، أو المادة التاريخية والمادة الدرامية.. خبراء التاريخ ينفون إمكانية معرفة لون بشرة كليوباترا الحقيقي وينتهون إلى «احتمال» أن تكون سمراء.. لكن الجانب الدرامي لا يكتفي بهذا بل يذهب إلى تصوير حاشيتها- وأغلب من يظهرون في الكادر- بلون البشرة نفسه! خبراء التاريخ يقولون: كان عمر كليوباترا (١٨ عاماً) حين تولت مقاليد الحكم.. لكن الممثلة (مواليد ١٩٩٦) تبدو أكبر من هذا العمر بكثير.. الأمر نفسه يقال عن أخيها بطليموس الثاني عشر الذي كان حينها طفلًا، لكن صناع الفيلم اختاروا للدور شاباً في منتصف العشرينات تقريباً!

ثمة جانب نسوي إيجابي في المسلسل عن قوة المرأة وقدرتها على المواجهة والقيادة.. حيث يُظهر الفيلم المرأة المصرية قديماً بصورة إيجابية مقارنة بالمرأة في روما.. «كانت النساء في مصر يملكن حقوقاً شبه متساوية مع الرجال بموجب القانون.. يمكن للنساء أن يخترن من يتزوجن ومن يطلّقن ويمكنهنّ أن يؤسسن عملًا ويحتفظن بأملاك خاصة بهن.. بينما كان يفترض بالنساء في روما أن يبقين في البيوت خاصة نساء الطبقة الراقية.. بينما لم يكن على نساء مصر الاستجابة لتلك الفكرة..»، ثمة ما يمكن إسقاطه هنا على وضع المرأة في الحاضر وهو ما ينبغي أن يُخجل منه.

تستطيع الشاشة تزييف الوعي لكن ليس تزوير التاريخ.. المسألة لا تتعلق بعدد من تتمكن من إقناعهم بالسردية الإعلامية الجديدة أو المغايرة لما هو سائد شعبياً وعلمياً؛ بل تتعلق بوجود مرجعية موثوقة علمياً.. مع ذلك ترتبط الرغبة في تغيير الوعي بالأجندات من ورائها.. فكما رأينا لم يكن التاريخ هو المرجعية الأساسية المقنعة التي اعتمدت عليها السردية الصهيونية في استيلائها على الأرض، بل اعتمدت بالدرجة الأولى على دغدغة المشاعر الإنسانية عبر مئات من الأفلام السينمائية والوثائقية. من خلال عبارة «أرض بلا شعب لشعب بلا أرض» ومن خلال القوة العسكرية، تمكنت الصهيونية من تحقيق أهدافها.. لكن ما الذي يمكن أن يكون وراء تكريس «المركزية الأفريقية»؟ وهو ما تسعى إليه المنصة المذكورة.. هذا سؤال ينتظر من الباحثين الإجابة عليه خصوصاً وأن تكريس هذه المركزية ليس بجديد ويفترض أن يكون الباحثون قد خرجوا بنتيجة تقف وراء هذا الاحتفاء.. أما تكرار الحديث عن وجود أجندات فيصب في خانة «نظرية المؤامرة» وهو ما لا يقبله العقل العلمي الذي لا يرضى لنفسه أن يكرر مقولات المنجمين.

تعب الأرصفة

ليلى مصطفى

تتعبُ الأرصفةُ
كما كلّ مساء
تُلقي شالَها على
شرفاتِ الضّجرِ
تساهرُ المراسي القديمة
حتى الكأسِ الأخيرِ
كيفَ لها الانفلاتُ من
خريفِ اللّهفِ ورائحتُهُ
تدورُ تدورُ على أطرافِ
نخبِ الدّوار!
إلى آخرِ الضّوءِ وهو
ينسحبُ على غيرِ عادتِه
يتوكّأُ على مقعدٍ شاغرٍ
كالأنا
يندهُ في اللّاشيء
يطرقُ أبوابَ مدائنَ
أعياها زمنُ الغبار
يسكبُ غيبوبَتَه
على بحّة صوتٍ
تَورّمَ بالأغنيات

وداعاً عاميَ الأشقى

محسن محمد فندي

من أين أبدأ في الوداع،
وقد طغى ألم
على جرح الزّمان
وسالا
من أين قافيتي
تجيء..؟
من الهموم الجاثماتِ
على الصدورِ
جبالا
يا أيها التعساءُ..
في الزّمن المسافرِ
مثل أسرابِ الطُّيورِ..
الهارباتِ من البلادِ
ثقالا
مازلت أعلم أن..
آمالي سرابٌ
كلما ظهرت له
شمسُ النهارِ
تتالا
وهذا الوقت يمضي
مثل أعوامي
التي مرت بأحلامي العقيمة تستزيد
محالا
هي جمرةٌ تمشي
على جسدي النّحيل
وصرخةٌ
مع كلِّ قادمِ موجةٍ
تتعالا
تلك المراكب أعلنت
ساع الرحيلِ
يحثها..؟
وطن الجياع
من الجراح النازفات وقبلةٌ،
فاض الحجيج
إلى اللقا
شلالا
لا الموت يشفعُ
لا المراكب تنثني
لا النّزف ينفعُ
أو يصيرُ
مثالا
فارحل فلا أسفي عليك.
لا أسفي على عامٍ
تعمّد بالأسى
أو قطّع
الأوصالا
ياعامي الأشقى
وقد أدميتني
وزرعت في
جسدي الكليل
نصالا
ما أنت آخر من يغادرني
ويهديني السّبيل
ضلالا
ياجنّة التُّعساءِ
في العهدِ المقامرِ
بالنُّفوس وبالضّمائرِ،
والمصائب حولنا
أثقالا
هل يأتنا خبرٌ
مع الأيام
حيث الخير يصبح
للنُّفوس
وصالا.
كل عام وأنتم بعافية
في جيوبٍ خاوية

رسم يقول..؟

علم عبد اللطيف

كان في نقطة البدء رسْماً .يقول الحكاية هكذا
ثم لا يُعيدْ.
لم يقيّض له أن يُعيرَ الحواضرَ شكلاً جديداً..
ولا أن يُعمّمَ نعتَ الرسوم.
أو هو.. لا يريد.
أراد استباقَ الرواية بافتراض الكلام.
قبل أن ينتهي فيها حبيساً..
ويُرفع فوق المباني
وفوق المدى سياجٌ..
يزدهي بالحديد.
قال هذا وذاك..
وقال كما لا يبتغي
أن يقول.
لم يعرف الضوءَ عند الشروق.
كما لم يُفاجأ بنذير الظلام عند
الأفول.
وقلنا.. المدى ضيّقٌ.
وليس فيه مساحة عمرٍ نطال فيها رؤىً.
أو مكاناً نغيّر فيه الصفات
فالأماكن قلّما بدّلتْ قُمْصَها..
هي لا تحُول.
لك أن ترتدي يا أليف السكوت
قليلاً من ثياب الأمان..
تبلّلَ منها
المكان..
هذا الذي ندركُ أنه تعذّبَ بالليباس..
وبين الطلول..
تشبّه بالطلول.
وقال..
سأرضى بما صرتُ إليه.
بعيداً سأبقى.. ولا أبتغي في رحيلي
الوصول.
هو البوحُ غايةٌ لا تشي أبداً بالمَقول
فيه شكايةُ سرٍّ يجول.
يغلّقُ كلّ نوافذ دُور المدينة
يقول.
هاهي إني أراها..تواسي بيَ أبوابَها.
وأعرف ما من ضيوفٍ وافدين الديار.
يسألون لماذا هي هكذا..
أو ما بها.
هل يا ترى لم يقُل زائرٌ عن شكاةٍ لها أن تُذيعَ..
ما الذي رابَها.
هي كل ما حوَت هذي الأماكن. ليس فيها
حجُرات أُخَرْ.
لا ترتجي أن تلاقي سبيلاً.
ولا تهتدي في طواف القلوب
بأيّ اثرْ.
هي في هذي الرواية صارت.
تردّد عهداً له وقتُ تلاشيه ما إن يَحين الضحى
تقول..
ها أنا..بانتظار القمرْ.